وجاءكم النذير

عصام العطار

حربُ لبنان الأخيرة نَذير جديد ينضاف إلى ما سبقه من النُّذُر

ستَةَ عَشَرَ يوماً وإسرائيل تنتهك سيادة لبنان ، وتحاصره أوقح حصار ، وتضربه من البرّ والبحر والجوّ ، وتـــشرد أبناءَه ، وتقتل نساءه وأطفاله ، وتخرّب دياره وعماره ..

وليس هنالك أيُّ عونٍ عربيّ ، أو موقفٍ عربيّ ، أو صوتٍ عربيٍّ جادٍّ فعَّال!

لماذا ؟!

لأنّ الدول العربية ، في واقعها الحاليّ المزري ، أضعفُ وأجبن من أن ترفع رأسَها أو صوتَها في وجه إســـرائيل ، ومن أن تخالف عن توجيهات الولايات المتحدة الأمريكية ورغباتها ؛ ولأنّها مشغولة عن لبنان وســـواه ، بأنانيّـــات الحكّام وشهواتهم وأهوائهم ، وبانقساماتهم واختلافاتهم وصراعاتهم الصغيرةِ ، وحربِ بعضِهم بعضاً في السرِّ وفي العَلَن

* * *

ليس هنالك أيُّ عونٍ عربيّ

وليس هنالك أيضاً أيُّ عونٍ دوليّ ؛ فالولايات المتحدة الأمريكية هي التي أعطت الضوء الأخضر لغـــزو لبنـــان وضربه ، وهي التي تولّت حماية الغزو الإسرائيلي وتبريره والدفاع عنه في كلّ محفل عالميّ رسميّ

ومجلس الأمن لم يستطع مناقشة العدوان ، ولا يستطيع لو ناقشه أن يتخذ ضدّه –مع وجود الفيتو الأمريكي– أيّ قرار .. هذا لو أحبّ اتخاذ قرار

* * *

العرب –كما ترون– ضعفاء عاجزون

وإسرائيل قوية قادرة

ولقد كان من سياسة الولايات المتحدة والغرب أن تكون إسرائيل وحدها أقوى من البلاد العربية كلّها مجتمعة

وما نزال نسمع كلّ يوم من الأيام عن ضمان التفوّق النّوعِيّ الكبير لإسرائيل في كلّ مجال ، وعن زيـــادة هـــذا التفوّق باستمرار ..

والولاياتُ المتحدة الأمريكية ، ودولٌ أخرى من خلفها ، تحاصر بعض الدول العربيـــة والإســـلامية وتلاحقهـــا وتعاقبها ، لأنّها (تنوي !!) أن تنتج سلاحاً نوويّاً في يوم من الأيام ، أو لأنها تستطيع موضوعيّاً أن تنتج بعد ســـنواتٍ وسنوات هذا السلاح ، كأنّ النوايا مما تُستْيَقَنُ معرفتُه ، ومما يجوز أن يُحاسَب عليه الإنسان ؛ وتتركُ هـــذه الـــدولُ إسرائيل تملأ مخازنها بالرؤوس النوويّة ، وتُطوّر صواريخها البلاستكيّة ، وسائرَ أسلحةِ الدّمار الشامل ، وتمدّ لها في ذلك كلّه يدَ العون

* * *

إسرائيل تملك السلاح النوويّ ، وسائر أسلحة الدمار الشامل ، وتَتَفَوّق في أسلحتها التقليديّة أيضاً على الـــبلاد العربية والإسلامية

والفرق بين القوّةِ العسكريّة العربية والإسلامية ، والقوّةِ العسكرية الإسرائيلية ، يزدادُ بحيثُ لا تـــستطيع الـــبلادُ العربية والإسلامية مواجهة إسرائيل ، ولا تملك أمامَها إلا الخنوع والخضوع ، والانصياعَ لكلّ ما تطلب ، وما أكثـــر وأخطر ما تطلبه على كل صعيد !

ولن يجد العرب والمسلمون سَنداً دوليّاً ، فالسندُ الدوليُّ الفعّال إنّما هو لإسرائيل

ولن يجدوا سنداً إعلاميّاً ، فالإعلامُ العالميّ أكثرُه مسخَرٌ لإسرائيل ، يُهَيِّئُ لها الأجواء ، ويُـــبرِر لهـــا العـــدوان ، ويُغَطّي لها الجرائم ، ويلقي المسؤولية من أجلها على الحَمَل ، ويُبَرِّئُ الذئب ..

* * *

الوضع العربيّ والإسلاميّ الراهن وضع خطير ؛ بل كلمةُ (خطير) أقلُّ كثيراً جدّاً من الوصف المطلوب

البلادُ العربيةُ والإسلاميةُ كلُّها مهدّدة أشدَّ تهديد ، وأوكد تهديد

وأتساءل :

لو أنّ إسرائيل قامت في وقتٍ ما ، بضرب المفاعلاتِ النوويّة أو سواها في إيران .. ماذا سيكون ؟

لو أنها قامت بضرب أهدافٍ استراتيجيّة في سورية مثلاً .. ماذا سيكون ؟!

لو أنها ضربت أهدافاً في أقطار عربية وإسلامية أخرى بعد شيء من الإعداد والتمهيد .. ماذا سيكون ؟!

لو أنها أحرقت المسجد الأقصى ثانية .. ماذا سيكون ؟!

لن يرفع أيُّ قطرٍ عربيّ أو إسلاميّ رأسَه ، ولن يقدّم لشقيقه أو لأشقائه المضروبين أيّ عون واقعيّ حقيقيّ

ولن يثور أحدٌ للمسجد الأقصى ، ولن يدفع أحد عن أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، ومسرى الرسول ﷺ

* * *

نحن نعيش في عالم ما تزال تتحكّم فيه علاقاتُ القوّة ، لا المبادئُ والمثلُ والقيمُ العُليا

فلا بدَّ من تغييرٍ في علاقاتِ القوّةِ يجعلُ المعتدينَ لا يستسهلون العدوان علينا ، ويجعلهم يستعظمون ثمنَه ، ويقدّرون أنّ الخسارةَ فيه أكبرُ كثيراً من الربح

ومن أوّلِ الخطواتِ وأهمّها وأوجبها في تغيير علاقاتِ القوّة ، أن تتجاوز البلادُ العربية (فوراً) لا بعدَ عشراتِ السنين!! انقساماتِها وصراعاتِها ، وأن تسير سيْراً جادّاً في طريق التكامل والتكافل والوحدة

وأن تستردَّ البلاد العربيّة حرّيّتها وحريةَ قرارِها ، وتسلكَ طريقَ الخلاصِ من التبعية للدول الكبرى والمصالح الكبرى ، وأن تجدَ أهدافها الخاصَّة ومصالحها الخاصّة واستراتيجيّتها الخاصّة ونهجَها الخاصّ

وأن تقوم علاقاتها مع غيرها من دول العالم على مبادئها ، وعلى تبادل المصالح المشروعة فيما بينها ، وأن يشعر الجميع بأن صداقتها تنفع ، وعدواتَها تضرّ ..

ولماذا يَرعى كثيرٌ من الدول الغربية –على سبيل المثال– جانبَنا وينحازون إلينا لا لإسرائيل ، إذا كانت مصالحهم في بلادنا مضمونة على الدوام مهما أهدروا مصالحنا ، وداسوا حقَّنا وكرامتنا ، وكانت مصالحُهم في إسرائيل ومواطن نفوذها ، لا يضمنُها إلا ما يدفعونه لها من مقابل ، ويؤدّونه من خدمات

إنّ هذا الذي قدَّمْتُ وحده جدير بأن يجعلنا أمنعَ وأعصى على العدوان ، ويجعل دول العالم الأخرى أكثر اهتماماً بنا ، وإصغاءً إلينا ، ومراعاةً لمواقفنا ومصالحنا ؛ بل هو جدير بأن يبعث في شعوبنا شعوراً جديداً وأملاً جديداً ، وأن يفجر من طاقاتها ونشاطاتها ما غيَّضه اليأسُ والإحباط ، وما تحتاجه أَمَسّ الحاجة في معركة التنمية والبناء

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن ما قدَّمتُه ليس إلا نقاطاً في تصوّرٍ أشمل ، وتحرُّكٍ أكمل ، للخروج مـــن مأزقنـــا التاريخيّ الرهيب ، واستعادةِ مكانتنا ، وأداءِ رسالتِنا في هذا الوجود

* * *

وإنني لأدعو أخيراً شعوبنا وحكّامنا إلى رفض واقعنا الحاليّ والثورة عليه

أدعو شعوبنا إلى رفض الاستغراق في القُطْرِيّةِ والإقليميّةِ على حساب الوحدة العربيّـــة والإســـلاميّة والعروبـــةِ والإسلام

أدعو شعوبنا إلى رفض التبعيّة المهينة للولايات المتحدة الأمريكية ، ولهذه الدولة أو تلك من الدول الكبرى

أدعو شعوبنا إلى رفضِ تقطيع الوشائج التي تربط العرب والمسلمين بعضهم بـــبعض ، ورفـــضِ روحِ اللامبـــالاةِ ومنطق اللامبالاة بما ينـــزل ببعض أقطارهم من البلاء ، ورفض القبولِ بمُظاهَرَةِ الأعداء على الأشقّاء .. وإلى التعـــبير عن هذا الرفضِ القاطعِ الواعي بمختلف الطرائق والوسائل السلميّة الموزونة الفاعلة المبصرة

وأدعو الحكّام في هذه المراحل التاريخيّة الحاسمة إلى الارتفاع على الأنانيّات والجزئيّات ، والصغائر والتفاهـــات ، وإلى التجرّدِ لله عزَّ وجلَّ ، ومراجعةِ واقعِهم ومواقفِهم ، وواقعِ أمتهم وبلادِهم ، وتغييرِ ما بأنفسهم من عوامل الفسادِ والهزيمة والانحراف ، وتصحيح الرُّؤى والمسارات

وَلْيَعْلَمْ كلُّ حاكم أنّ قراره لا يخصّه وحده ، ولا يحمل تبعتَه وحدَه ، ولكنّه يتجاوزه بآثارِه الحسنةِ أو الـــسيئة ، إلى سائر العربِ والمسلمين ، في مختلف أقطارِهم في الحاضرِ والمستقبل

* * *

ويا أيّها العربُ والمسلمون الذين يملأُ قلوبَهم اليأسُ والإحباطُ والمهانة ، وهم ينظرون إلى الواقع المحلّيّ والإقليمـــيّ والدوليّ ، وإلى موازين القُوى في العالم ، فيفكّرُ كثيرون منهم تفكيرَ اليائسين المستسلمين المنـــهزمين ، ويتـــصرفون تصرُّفَ اليائسين المستسلمين للهزيمة والهوان ..

إنّ موازين القُوى تتبدّل وتتغيّر ولا تثبت على حال

(الدهر دُولاب والأيّام قَلاَبه)

﴿ ... **وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** ... ﴾ [آل عمران : ١٤٠]

ولو أنكم وضعتم في موازين القوى التي تميل لمصلحة أعدائكم الآن .. لو أنكم وضعتم في الموازين الإيمانَ الصادق ، عندما يتفجّرُ في صدوركم الإيمان ؛ والإرادةَ الصارمة ، عندما تتحرّرون من التردّد والاستسلام ؛ والعلمَ والفكرَ ، عندما تستخدمون ما أعطاكم الله من قُدرات واستعدادات ، والعملَ الدائبَ والتضحيةَ المتواصلة .. لو أنكم وضعتم هذا كلّه في موازين القوى ، لتغيّرت حتماً من خلال الزمن ، بل لَبَدَأَ التغيّير بخطواتكم الأُولى

ثِقُوا بربكم -أيّها العربُ والمسلمون-

ثقوا بأنفسكم

ثقوا بانتصار الحقّ ، وبانتصاركم بالحقّ على الباطلِ بمختلفِ تجلّياته وصُوَرِه ، عندما تلتزمون الحـــقّ بـــصدق ، وتدفعون ثمنَ الانتصار

﴿ **وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٣٩]